الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وله أقهر وكل واحد فى نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجد ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ ، ويحتاجوا إلى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولاقصد ، ولاتحفظ ولا طلب ...[1] » .

فليس فى هذه الصورة الواضحة التى يرسمها الجاحظ ما يمكن أن ينم عن قدرة على الكتابة الأدبية والتأليف . أما ما ورد بشأن لقمان الحكيم ، وما قيل عن حكمته التى جمعها الجاهليون فى صحيفة تدعى مجلة لقمان ، فهذا ما لايمكن أن يبنى عليه حكم مؤداه أن لقمان قد ألف مؤلفاً أو دون كتاباً ، ونحن إذا مارجعنا إلى هذه الرواية من أخبار سويد بن الصامت ، نراها تسوق الخبر عنه على هذا النحو تقول :

إنه « قدم مكة حاجاً أو معتمراً ، فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، فقال له سويد : لعل الذى معك مثل الذى معى ، فقال له رسول الله : وما الذى معك ؟قال : مجلة لقمان ، يعنى : حكمة لقمان ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها على ، فعرضها عليه ، فقال: إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل منه : قرآن أنزله الله على ، وهو هدى ونور ، فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد ، وقال إن هذا القول حسن ، ثم انصرف ، وقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج »

---

(١) البيان والتبيين — الجزء الثالث ص ٢٨ — ٢٩ .